



شياطين وملائكة

ليس سهلاً ان يكون بشار الاسد هو من هو، ابن ابيه، وسرّه، ووارثه في قيادة القوات المسلحة السورية منذ اقل من شهر، وفي الامانة العامة لحزب البعث منذ اسبوعين، وفي رئاسة الجمهورية بعد يومين، وان يواجه في الاسبوع الاولي لوراثته استحقاقاً انتخابياً كبير الدلالة.

لا يُقصد بالاستحقاق الانتخابي الكبير الدلالة الاستفتاء الشعبي حول ترشيح السيد بشار الاسد يوم الاثنين المقبل، فالنتيجة معروفة سلفاً، استبقتهامشاهد المبايعه البرلمانية والحزبية والتلفزيونية، والتشويق، وكذلك الدلالة، محصوران في ترقب الرقم التصليفي بعد الفاصلة لنسبة الـ"نعم": ٩٩ر٤ في المئة؟ ٩٩ر٨؟ ٩٩ر٩؟ ام ٩٩ر٩٩، اي النسبة القصوى، باعتبار المئة في المئة صارت مستحيلة بمجرد اعلان رياض الترك، هذا المناضل الذي لا يكلّ، انه لن يصوت للمرشح الاوحد؟ ولا يزيد كثيراً من عنصر التشويق ان يراهن المؤمنون بالتغيير المبالغت على مراعاة الدم الجديد مقتضيات الحداثة في السياسة، حتى لو كانت موجهة، وتالياً امكان رصد مكان لائق، لا كبير ولا صغير، لنسبة من الـ"لا" لا تؤثر في النتيجة الا جمالياً.

ليس الاستفتاء حول ترشيحه اذاً اول امتحان انتخابي يواجهه السيد بشار الاسد. إنّما الامتحان هو في الانتخابات النيابية اللبنانية، وكيفية تعاطيه معها بعد ان يستكمل مراتب التنصيب رئيساً للجمهورية العربية السورية ووصياً بالتلازم على الجمهورية اللبنانية المتوأمة.

اما موضوع الامتحان، فهو يتعلق طبعاً بصدق الرغبة المعلنة في "التغيير"، ان لم يكن في سوريا فعلى الاقل في لبنان. الامتحان صعب ولا شك، بل ربما يكون اصعب في لبنان مما هو في سوريا. فبالاضافة الى المعوقات "الداخلية" الخاصة باليات النظام السياسي - العسكري - الاقتصادي في سوريا، ثمة ظرف خاص بلبنان يتمثل في ضحالة طبقته السياسية وحبها للجمود. كل شيء يتغير حولهم، فيغدو الجنوب أخيراً بلا احتلال وسوريا بلا حافظ الاسد، لكن المسؤولين الواقفين على الضفة اللبنانية من التلازم لا يريدون تغيير شيء سوى حصصهم من صدقة المتصدق.

لذا، فعلى الرئيس السوري المقبل، ان شاء فعلاً المضي في تغيير يتجاوز التزيين، ان يضاعف الجهود حتى ينجح في لبنان في انتظار ان ينجح في سوريا. فلن يكون سهلاً عليه، وان يكن هو من هو، ابن ابيه وسرّه ووارثه، ان يثني مرؤوسيه عن التدخل السافر او المقّنع في الانتخابات اللبنانية في سعيهم الى تحويلها استفتاء آخر بنتيجته المقررة سلفاً، ولو مع تفاوت النسب المئوية، ولا ان يقنع مواليه اللبنانيين بمغبة ارتداء الصوف ترقباً للصيف الموعود.

ان تحميل الانتخابات اللبنانية معنى الامتحان للسيد بشار الاسد لا يعني التسليم لمشينة القاهرة، حتى لو افترضناها حسنة النية هذه المرة، ولا الانتظار ابدان يأتي الترياق من دمشق، بل يعني ويجب ان يظل يعني ارادة الاستفادة من تناقضات اصحاب المشيئات العليا. ومثلما تفيد المطالبة، من بيروت ودمشق، ومن طرابلس وحلب، فضلاً عن حمص وحماه واللاذقية، بالاصلاح السياسي اولاً، بدءاً بالأفراج عن المعتقلين السياسيين واحترام حقوق الانسان واستعادة حرية التعبير، ضماناً حتى لا تُعدّ اي خطوة اصلاحية مئة من احد، فإن العمل على اعطاء الانتخابات النيابية في لبنان معنى



ديموقراطياً رغم كل شيء يحول دون تحويل شعار التغيير قناعاً لاعادة انتاج هيمنة لا يتغير فحواها، او لاعادة توزيع المغانم المتأتية منها.

من هنا، لا يمكن ان يفضي ربط صورة الانتخابات اللبنانية بتصوير السيد بشار الاسد لها الى الحكم مباشرة بالعقم على المسيرة الانتخابية جملة وتفصيلاً. بالتأكيد، الكلام بالجملة يبدو صحيحاً. فمن "استشراع" تقطيع انتخابي يحتقر الجغرافيا والتاريخ، ناهيك بالاخلاق، الى تركيب اللوائح الحادثة من كل من يؤتمن لولائه الاعمى، لا بشير خير في هذه العملية او في من فوضوا ادارتها.

لكن الكلام بالجملة لا يفي الصورة احتمالاتها. فالشيطان يسكن التفاصيل، واحيانا الملائكة ايضاً. والتفاصيل، بشياطينها وملائكتها، قد تحمل في هذا السياق بدايات تحرر يستبق "التغيير" وربما يحدد مسراه. لكل شياطينه، لا جدال في الامر، وكذلك ملائكته. واولئك وهؤلاء يتبدلون موقعا وهوية حسب الظرف، اذ لسنا في صدد البحث عن المطلق، شرا او طهارة.

اما الظرف، فهو يملي تحديد الشياطين، او الملائكة، لا يهم الاسم، وفق واحد من معيارين: معيار التصدي، حتى لو افتقر التصدي الى رؤية واضحة وخطاب تعبوي، للهندسة المحكمة الموضوعية للانتخابات وتاليا تحول الترشيح او التحالف رفضاً للأمر الواقع المفروض بحجة المونة والعلاقات المميزة، فتبقى في الازهان فكرة الحاجة الى سيادة غير منقوصة؛ ومعيار التصدي، ايضاً دون رؤية واضحة وبلاغة قتالية، الى هوس استنباط "حزب وطني" واحد لا فكر لديه غير توطين عبادة الشخصية.

ومن نافل القول ان هذين المعيارين لا يتطابقان في الضرورة. فبعض من يخضع لأشد الضغوط الاخوية للدخول في تحالف صار يرفضه، قد يستفيد من رغبة داخلية رسمية في اضعاف الحليف المرفوض، حتى لو كان هذا مشاركاً في الحكم شريكاً في استغلال العباءة. والعكس صحيح ايضاً. بيد ان الجمع بين هذين المعيارين يشكل السبيل الوحيد للنفاز من تناقضات الامر الواقع الى ترسيخ لعبة سياسية تبنى على الاعتراض. ليس موقع الاعتراض ثابتاً. فقبل اربعة اعوام، كانت معركة سليم الحص من عناوين الاعتراض.

اما اليوم، فقد صارت معركة رئيس حكومة سابق آخر هو عمر كرامي هي التي تفيد معنى الاحتجاج، وخصوصاً اذا نجح في حماية تحالفه مع "الرئيسة" نائلة معوض وضم الاثنان الى لائحتهما صوتاً معارضاً متميزاً هو سمير فرنجية. كذلك هي معركة وليد جنبلاط في مقلب آخر، ومعركة حبيب صادق في الجنوب المدمجة قسراً محافظاته (كما قوتاه الطائفيتان)، ومعركة نجاح واكيم - ان رغب - في بيروت، وكم بالاخص معركة البير مخبير ونسيب لحود في الجبل المصادر. ماذا يجمع بين كل هؤلاء، وآخرين مثلهم؟ لا شيء ربما. لا شيء غير انهم يهبون، كل على طريقته، الرئيس السوري المقبل، وهو من هو، فرصة للانكباب على مراجعة فصل "التمثيل الشعبي" في كتاب الحياة السياسية، وان جاءت المراجعة بعد الامتحان. والأهم انهم يهبون المحظوظين من الناخبين اللبنانيين المسجلين في دوائرهم لذة التعطش الى نهاية الصحراء.

سمير قصير



Id-Reference	00-Pr-000409	
Media	(Support)	HC
Title		شياطين وملائكة
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		١ تنمة ١١
Date		٢٠٠٠/٧/٧
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	بشار.أسد - رياض.ترك - حافظ.أسد - وليد.جنبلات - حبيب.صادق - سليم.حص - عمر.كرامي - نايلة.معوض - سمير.فرنجية - البير.مخبير - نسيب.لحدود - نجاح.واكيم
	Locations	لبنان - سوريا - بيروت - دمشق
	Dates	
	Themes	بشار.أسد - لبنان - انتخابات.نيابية.لبنانية - تلازم.مسارين - حافظ.أسد - انتخابات.لبنانية - رئاسة.جمهورية.سورية - نظام.سياسي.عسكري.اقتصادي.سوري - حزب.بعث - سوريا.نظام - قوات.سورية.مسلحة - معتقلين.سياسيين - حرية.تعبير - معارضة - استفتاء.رئاسي.سوري - رياض.ترك - سياسة.سورية - علاقات.مميزة.لبنانية.سورية -
Subject		